

الله الرحمن

تفسیر القدر الکبیر

۲۵

تفسیر سوره مبارکه فصلت ۹۷-۲-۱۸

دراسات الاستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (1)

تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ (2)

سورة فصلت

كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4)

وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونَ (5)

سورة فصلت

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6)

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7)

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ (8)

مَمْنُونٌ

=

• «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ»

• أى لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متصل دائم و يجوز أن يكون معناه أنه لا أذى فيه من المن الذى يكدر الصنيع

سورة فصلت

* قُلْ أَتُنْكُمُ اللَّكْفُرُونَ بِالَّذِي
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ
تَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ
الْعَالَمِينَ (9)

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ
 فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
 سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
 قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)

سورة فصلت

فَقَضَّهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ
أَوْحَى فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيْنَّا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظًا ذَالِكِ
تَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال (إن الله خلق الأرض يوم الأحد و الاثنين و خلق الجبال يوم الثلاثاء و خلق الشجر و الماء و العمران و الخراب يوم الأربعاء فتلك اربعة ايام و خلق يوم الخميس السماء و خلق يوم الجمعة الشمس و القمر و النجوم و الملائكة و آدم)

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- روى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ص أنه قال إن الله تعالى خلق الأرض في يوم الأحد و الإثنين و خلق الجبال يوم الثلاثاء و خلق الشجر و الماء و العمران و الخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام و خلق يوم الخميس السماء و خلق يوم الجمعة الشمس و القمر و النجوم و الملائكة و آدم.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و المراد باليوم في قوله: «خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» برهة من الزمان دون مصداق اليوم الذي نعده و نحن على بسيط أرضنا هذه و هو مقدار حركة الكرة الأرضية حول نفسها مرة واحدة فإنه ظاهر الفساد، و إطلاق اليوم على قطعة من الزمان تحوى حادثة من الحوادث كثير الورود شائع الاستعمال، و من ذلك قوله تعالى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ:» آل عمران:- ١٤٠، و قوله: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ:» يونس:- ١٠٢، و غير ذلك.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- فاليومان اللذان خلق الله فيهما الأرض قطعتان من الزمان تم فيهما تكون الأرض أرضاً تامة، و في عدهما يومين لا يوماً واحداً دليل على أن الأرض لاقت زمان تكونها الأولى مرحلتين متغايرتين كمرحلة النىء و النضج أو الذوبان و الانعقاد أو نحو ذلك.
- و قوله: «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ» قيل: الظرف أعنى قوله: «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» بتقدير مضاف و هو متعلق بقدر، و التقدير قدر الأقوات في تامة أربعة أيام من حين بدء الخلق - فيومان لخلق الأرض و يومان - و هما تامة أربعة أيام - لتقدير الأقوات.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قيل: متعلق بحصول الأوقات و تقدير المضاف على حاله، و التقدير قدر حصول أوقاتها في تنمة أربعة أيام- فيها خلق الأرض و أوقاتها جميعا-.
- و قيل: متعلق بحصول جميع الأمور المذكورة من جعل الرواسي من فوقها و المباركة فيها و تقدير أوقاتها و التقدير و حصول ذلك كله في تنمة أربعة أيام و فيه حذف و تقدير كثير.
- و جعل الزمخشري في الكشاف، الظرف متعلقا بخبر مبتدأ محذوفين من غير تقدير مضاف و التقدير كل ذلك كائن في أربعة أيام فيكون قوله: «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» من قبيل الفذلكة كأنه قيل: خلق الأرض في يومين و أوقاتها و غير ذلك في يومين فكل ذلك في أربعة أيام.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- قالوا: و إنما لم يجز حمل الآية على أن جعل الرواسي و ما ذكر عقبيه أو تقدير الأقوات في أربعة أيام لأن لازمه كون خلق الأرض و ما فيها في ستة أيام و قد ذكر بعده أن السماوات خلقت في يومين فيكون المجموع ثمانية أيام و قد تكرر في كلامه تعالى أنه خلق السماوات و الأرض في ستة أيام فهذا هو الوجه في حمل الآية على أحد الوجوه السابقة على ما فيها من ارتكاب الحذف و التقدير.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و الإنصاف أن الآية أعنى قوله: «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ» ظاهرة في غير ما ذكروه و القرائن الحافة بها تؤيد كون المراد بها تقدير أقواتها في الفصول الأربعة التي يكونها ميل الشمس الشمالي و الجنوبي بحسب ظاهر الحس فالأيام الأربعة هي الفصول الأربعة.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و الذى ذكر فى هذه الآيات من أيام خلق السماوات و الأرض أربعة أيام يومان لخلق الأرض و يومان لتسوية السماوات سبعا بعد كونها دخانا و أما أيام الأقوات فقد ذكرت أياما لتقديرها لا لخلقها، و ما تكرر فى كلامه تعالى هو خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام لا مجموع خلقها و تقدير أمرها فالحق أن الظرف قيد للجمله الأخيرة فقط و لا حذف و لا تقدير فى الآية و المراد بيان تقدير أقوات الأرض و أرزاقها فى الفصول الأربعة من السنة.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قوله: «سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ» مفعول مطلق لفعل مقدر أى استوتت الأوقات المقدرة استواء للسائلين أو حال من الأوقات أى قدرها حال كونها مستوية للسائلين يقتاتون بها جميعا و تكفيهم من دون زيادة أو نقصان.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و السائلون هم أنواع النبات و الحيوان و الإنسان فإنهم محتاجون في بقائهم إلى الأرزاق و الأقوات فهم سائلون ربهم «١» قال تعالى: «يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: الرَّحْمَنُ: - ٢٩، و قال: «وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ:» إبراهيم: - ٣٤.
- قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» الاستواء - على ما ذكره الراجب - إذا عدى بعلی أفاد معنى الاستيلاء نحو الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، و إذا عدى بآلى أفاد معنى الانتهاء إليه.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- (١) ظاهر الآيتين و إن كان اختصاصهما بذوى العقول لكنهما و خاصة الثانية تفيدان أن المراد بالسؤال هو الحاجة و الاستعداد و عليه فالآية تعم النبات و الإتيان بضمير أولى العقل للتغليب.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و أيضا فى المفردات، أن الكره بفتح الكاف المشتقة التى تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، و الكره بضم الكاف ما تناله من ذاته و هو يعافه.
- فقوله: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» أى توجه إليها و قصدها بالخلق دون القصد المكانى الذى لا يتم إلا بانتقال القاصد من مكان إلى مكان و من جهة إلى جهة لتنزهه تعالى على ذلك.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و ظاهر العطف بثم تأخر خلق السماوات عن الأرض لكن قيل: إن «ثم» لإفادة التراخي بحسب الخبر لا بحسب الوجود و التحقق و يؤيده قوله تعالى: «أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا - إِلَى أَنْ قَالَ - وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا:» النازعات:-
٣٢ فإنه يفيد تأخر الأرض عن السماء خلقا.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و الاعتراض عليه بأن مفاده تأخر دحو الأرض عن بناء السماء و دحوها غير خلقها مدفوع بأن الأرض كروية فليس دحوها و بسطها غير تسويتها كرة و هو خلقها على أنه تعالى أشار بعد ذكر دحو الأرض إلى إخراج مائها و مرعاها و إرساء جبالها و هذه بعينها جعل الرواسي من فوقها و المباركة فيها و تقدير أقواتها التي ذكرها في الآيات التي نحن فيها مع خلق الأرض و عطف عليها خلق السماء بـثم فلا مناص عن حمل ثم على غير التراخي الزماني فإن قوله في آية النازعات: «بَعْدَ ذَلِكَ» أظهر في التراخي الزماني من لفظة «ثُمَّ» فيه في آية حم السجدة و الله أعلم.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قوله: «و هِيَ دُخَانٌ» حال من السماء أى استوى إلى السماء بالخلق حال كونها شيئاً سماه الله دخاناً و هو مادتها التى ألبسها الصورة و قضاها سبع سماوات بعد ما لم تكن معدودة متميزاً بعضها من بعض، و لذا أفرد السماء فقال: «استوى إلى السماء».
- و قوله: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أُنْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» تفریع على استوائه إلى السماء و المورد مورد التكوين بلا شك فقوله لها و للأرض: «أُنْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» كلمة إيجاد و أمر تكوينى كقوله لشيء أراد وجوده: كن، قال تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ:» يس: - ٨٣.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و مجموع قوله لهما: «أُتِيَا» إلخ و قولهما له: «أَتَيْنَا» إلخ تمثيل لصفة الإيجاد و التكوين على الفهم الساذج العرفي و حقيقة تحليلية بناء على ما يستفاد من كلامه تعالى من سراية العلم فى الموجودات و كون تكليم كل شىء بحسب ما يناسب حاله، و قد أوردنا بعض الكلام فيه فيما تقدم من المباحث، و سيجيء شطر من الكلام فيه فى تفسير قوله: «قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ:» الآية - ٢١ من السورة إن شاء الله.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قول بعضهم: إن المراد بقوله: «أُتِيَا» إلخ أمرهما بإظهار ما فيهما من الآثار و المنافع دون الأمر بأن توجدا و تكونا مدفوع بأن تكون السماء مذكور فيما بعد و لا معنى لتقديم الأمر بإظهار الآثار و المنافع قبل ذكر التكون.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و في قوله: «أَتْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» إيجاب الإتيان عليهما و تخييرهما بين أن تفعل ذلك بطوع أو كره، و لعل المراد بالطوع و الكره - و هما بوجه قبول الفعل و نوع ملاءمة و عدمه - هو الاستعداد السابق للكون و عدمه فيكون قوله: «أَتْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» كناية عن وجوب إتيانهما بلا مناص و أنه أمر لا يتخلف البتة أرادتاً أو كرهتاً سألتاه أو لم تسألأ فأجابتا أنهما يمثلان الأمر عن استعداد سابق و قبول ذاتي و سؤال فطري إذ قالتا: أْتَيْنَا طَائِعِينَ.
- و قول بعضهم: إن قوله: «طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» تمثيل لتحتّم تأثير قدرته تعالى فيهما و استحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع و الكره لهما. مدفوع بقوله بعد:

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» إذ لو كان الترديد المذكور تمثيلا فقط من غير إثبات كما ذكره لم يكن لإثبات الطوع في الجواب وجه.
- و قوله: «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» جواب السماء و الأرض لخطابه تعالى باختيار الطوع، و التعبير باللفظ الخاص بأولى العقل - طائعين - لمكان المخاطبة و الجواب و هما من خواص أولى العقل، و التعبير بلفظ الجمع دون أن تقولوا: أتينا طائعتين لعله تواضع منهما بعد أنفسهما غير متميزة من سائر مخلوقاته تعالى المطيعة لأمره فأجابتا عن لسان الجميع، نظير ما قيل في قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» الحمد: - ٥.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- ثم إن تشريك الأرض مع السماء في خطاب «أُتِيَا» إلخ مع ذكر خلقها و تدبير أمرها قبلا لا يخلو من إشعار بأن بينهما نوع ارتباط في الوجود و اتصال في النظام الجارى فيهما و هو كذلك فإن الفعل و الانفعال و التأثير و التأثر دائر بين أجزاء العالم المشهود.
- و في قوله: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ» تلويح على أى حال إلى كون «ثُمَّ» في قوله: «ثُمَّ اسْتَوَى» للتراخي بحسب رتبة الكلام.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- قوله تعالى: «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا» الأصل في معنى القضاء فصل الأمر، و ضمير «فَقَضَاهُنَّ» للسماء على المعنى، و «سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» حال من الضمير و «فِي يَوْمَيْنِ» متعلق بقضاهن فتفيد الجملة أن السماء لما استوى سبحانه إليها و هي دخان كان أمرها مبهما غير مشخص من حيث فعلية الوجود ففصل تعالى أمرها بجعلها سبع سماوات في يومين.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قيل: إن القضاء في الآية مضمن معنى التصيير و «سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» مفعوله الثانى، و قيل فيها وجوه أخر لا يهمننا إيرادها.
- و الآية و ما قبلها ناظرة إلى تفصيل ما أجمل في قوله: «أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا:» الأنبياء:-
٣٠.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قوله: «وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» قيل: المراد بأمر السماء ما تستعد له أو تقتضيه الحكمة فيها من وجود ملك أو كوكب و ما أشبه ذلك، و الوحي هو الخلق و الإيجاد، و الجملة معطوفة على قوله: «فَقَضَاهُنَّ» مقيدة بالوقت المذكور للمعطوف عليه، و المعنى و خلق في كل سماء ما فيها من الملائكة و الكواكب و غيرها.
- و أنت خبير بأن إرادة الخلق من الوحي و أمثال الملك و الكوكب من الأمر تحتاج إلى عناية زائدة لا تثبت إلا بدليل بين، و كذا تقييد الجملة المعطوفة بالوقت المذكور في المعطوف عليها.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قيل: المراد بالأمر التكليف الإلهي المتوجه إلى أهل كل سماء من الملائكة و الوحي بمعناه المعروف و المعنى و أوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة.
- و فيه أن ظاهر الآية و قد قال تعالى: «فِي كُلِّ سَمَاءٍ» و لم يقل: إلى كل سماء لا يوافق تلك الموافقة.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و قيل: المراد بأمرها ما أرادَه اللهُ منها، و هذا الوجه في الحقيقة راجع إلى أحد الوجهين السابقين فإن أريد بالوحي الخلق و الإيجاد رجع إلى أول الوجهين و إن أريد به معناه المعروف رجع إلى ثانيهما.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و الذي وقع في كلامه تعالى من الأمر المتعلق بوجه بالسمااء يلوح إلى معنى أدق مما ذكره فقد قال تعالى: «يُدبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ:» الم السجدة: - ٥، و قال: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ:» الطلاق: - ١٢، و قال: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ:» المؤمنون: - ١٧.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- دلت الآية الأولى على أن السماء مبدأ لأمره تعالى النازل إلى الأرض بوجه و الثانية على أن الأمر يتنزل بين السماوات من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى الأرض، و الثالثة على أن السماوات طرائق لسلوك الأمر من عند ذى العرش أو لسلوك الملائكة الحاملين للأمر إلى الأرض كما يشير إليه قوله: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ:» القدر: - ٤، و قوله: «فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ:» الدخان: - ٤.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و لو كان المراد بالأمر أمره تعالى التكويني و هو كلمة الإيجاد كما يستفاد من قوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ:» يس:- ٨٢، أفادت الآيات بانضمام بعضها إلى بعض أن الأمر الإلهي الذي مضيه في العالم الأرضي هو خلق الأشياء و حدوث الحوادث تحمله الملائكة من عند ذي العرش تعالى و تسلك في تنزيله طرق السماوات فتنزله من سماء إلى سماء حتى تنتهي به إلى الأرض.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- و إنما تحمله ملائكة كل سماء إلى من دونهم كما يستفاد من قوله: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ:» سبأ: - ٢٣ و قد تقدم الكلام فيه و السماوات مساكن الملائكة كما يستفاد من قوله: «وَ كَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ:» النجم: - ٢٦، و قوله: «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَ يُقَذَّفُونَ مِّن كُلِّ جَانِبٍ:» الصافات: - ٨.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- فلأمر نسبة إلى كل سماء باعتبار الملائكة الساكنين فيها، و نسبة إلى كل قبيل من الملائكة الحاملين له باعتبار تحميلة لهم وهو وحيه إليهم فإن الله سبحانه سماه قولاً كما قال: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ:» النحل: - ٤٠.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- فتحصل بما مر أن معنى قوله: «وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» أوحى في كل سماء إلى أهلها من الملائكة الأمر الإلهي. المنسوب إلى تلك السماء المتعلق بها، و أما كون اليومين المذكورين في الآية ظرفا لهذا الوحي كما هما ظرف لخلق السماوات سبعا فلا دليل عليه من لفظ الآية.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- قوله تعالى: «وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» توصيف هذه السماء بالدنيا للدلالة على أنها أقرب السماوات من الأرض و هي طباق بعضها فوق بعض كما قال: «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا:» الملك: - ٣.
- و الظاهر من معنى تزيينها بمصابيح و هي الكواكب كما قال: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ:» الصافات: - ٦ أن الكواكب في السماء الدنيا أو دونها كالقناديل المعلقة و لو كانت متفرقة في جميع السماوات من غير حجب بعضها لكون السماوات شفافة كما قيل كانت زينة لجميعها و لم تختص الزينة ببعضها كما يفيد السياق فلا وجه لقول القائل: إنها في الجميع لكن لكونها ترى متلائة على السماء الدنيا عدت زينة لها.
- و أما قوله: «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا:» نوح: - ١٦ فهو بالنسبة إلينا معاشر المستضيئين بالليل و النهار كقوله: «وَ جَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا:» النبا: - ١٣.
- و قوله: «وَ حِفْظًا» أي و حفظناها من الشياطين حفظًا كما قال: «وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ:» الحجر: - ١٨.
- و قوله: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» إشارة إلى ما تقدم من النظم و الترتيب.

سورة فصلت آيات ٩-١٢

- (كلام فيه تميم) [فى معنى السماء].
- قد تحصل مما تقدم:
- أولاً: أن الاستفادة من ظاهر الآيات الكريمة - و ليست بنص - أن السماء الدنيا من هذه السبع هى عالم النجوم و الكواكب فوقنا.
- و ثانياً: أن هذه السماوات السبع المذكورة جميعاً من الخلق الجسمانى فكأنها طبقات القرآن، ج ١٧، ص: ٣٧٠
- سبع متطابقة من عالم الأجسام أقربها منا عالم النجوم و الكواكب، و لم يصف القرآن شيئاً من السماوات الست الباقية دون أن ذكر أنها طباق.
- و ثالثاً: أن ليس المراد بالسماوات السبع الأجرام العلوية أو خصوص بعضها كالشمس و القمر أو غيرهما.
- و رابعاً: أن ما ورد من كون السماوات مساكن للملائكة و أنهم ينزلون منها بأمر الله حاملين له و يعرجون إليها بكتب الأعمال، و أن للسماء أبواباً لا تفتح للكفار و أن الأشياء و الأرزاق تنزل منها و غير ذلك مما تشير إليه متفرقات الآيات و الروايات يكشف عن أن لهذه الأمور نوع تعلق بهذه السماوات لا تعلق ما نراه من الأجسام بمحالتها و أماكنها الجسمانية الموجبة لحكومة النظام المادى فيها و تسرب التغير و التبدل و الدثور و الفتور إليها.
- و ذلك أن من الضرورى اليوم أن لهذه الأجرام العلوية كائنة ما كانت كينونة عنصرية جسمانية تجرى فيها نظائر الأحكام و الآثار الجارية فى عالمنا الأرضى العنصرى و النظام الذى يثبت للسماء و أهلها و الأمور الجارية فيها مما أشرنا إليه يبين هذا النظام العنصرى المشهود. أضف إلى ذلك ما ورد أن الملائكة خلقوا من نور، و أن غذاءهم التسبيح، و ما ورد من توصيف خلقهم، و ما ورد فى توصيف خلق السماوات و ما خلق فيها إلى غير ذلك.
- فللملائكة عوالم ملكوتية سبعة مترتبة سميت سماوات سبعا و نسبت ما لها من الخواص و الآثار إلى ظاهر هذه السماوات بلحاظ ما لها من العلو و الإحاطة بالنسبة إلى الأرض تسهيلاً للفهم الساذج.

سورة فصلت

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ (13)

إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (14)



قم - ۵۵ متری عمار یاسر - کوچه ۱۵ - پلاک ۸۲ تلفن: ۰۲۵-۳۷۷۱۶۰۶۰ - دورنگار: ۳۷۷۱۹۷۴۰

islamquest.net - ravaqhekmat.ir